كشاف تحليلي للمسائل الفقهية
في تفسير القرطبي

إعداد
مشهور حسن سلمان جمال عبد اللطيف الدسوقي

مكتبة الصديق
السعودية - الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
الطبعة الأولى

السعودية - الطائف
ص.ب. ٢٣٦٨ - هاتف ٧٣٢٣٣٣٧

كلمة الناشر

الحمد لله. والصلاة والسلام على نبينا محمد عبد الله ورسوله، ختم به الرسل، وأكمل ببعثته البناء.

وبعد.

فليس غريباً أن تزخر المكتبة الإسلامية، في الآونة الأخيرة بهذا السيل من المؤلفات المتفاوتة تصغر حتى تكون ورقات، وتكبر حتى تصبح مجلدات ضخمة ينوء بحملها الفتى ذو القوة.

أقول ليس غريباً هذا الذي ذكرتُ، وقد أصبحنا نترقَّبُ ظهورَ أمرِ هذا الدِّيْن، مرَّةً أُخرى على يد مجددٍ موعودٍ، تصديقاً لحديث المصطفى ﷺ.

وما هذا الكم الهائل من العلوم الميسرة بفضل الله سبحانه، إلا إحدى وسائل هذا الأمر، فيما نظنّ.

وتقريباً لنفع هذه الكتب، والتصانيف المليئة بشتى أنواع العلوم والمعارف، هدى الله بعض مَنْ هيأهم لخدمة دينه، إلى صنع كشافات وفهارس، تجعل البحث عن المسائل جليلها ودقيقها ميسراً سهلاً، قريب التناول.

ولا يبعد عن الصواب من يسمي هذه المرحلة، وبعد مرحلة إحياء التراث طباعة وتحقيقاً، مرحلة الكشافات والفهارس والمعاجم. وجولة خاطفة في المكتبات التي تعنى بالجديد في عالم النشر، تجعل هذا ملحوظاً دونما كبير جهد وعناء.

وقدَّر الله، أن يكون لنا إسهام في هذا المجال، وله الفضل والمنة، على يد الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله، فهو الذي دلنا عليه، فجزاه الله خيراً.

ولا أظن باحثاً منصفاً يقول بعدم الحاجة إلى كشافنا هذا، بسبب اتساع تفسير القرطبي رحمه الله تعالى من جهة، ولمكانته بين التفاسير المعتمدة من جهة ثانية.

فهو إذاً حري بهذا الجهد الذي بذله الأستاذ مشهور حسن والأستاذ جمال عبد اللطيف، في إعداد هذا الكشاف. فنسأل الله لهما حسن الثواب في الدنيا والآخرة.

كما نشكر كل الذين ساهموا في إظهار هذا العمل المبارك، إن شاء الله، على الوجه الذي قصدنا فيه رضا المولى سبحانه أولاً، وخدمة لكتابه ثانياً.

فنسأله القبول، والهداية، والثبات على الحق.

وله الحمد في الأولى والآخرة.

الناشر

الطائف ـ ١٤٠٨ هـ

شخصية القرطبي وعصره
مـــن
خلال تفسيره

عصر المصنف:

ترك أهل الأندلس الجهاد، واستيلاء العدو على البلاد، وتأسف المصنف على حال أهل زمانه.

ورد في ٣/٣٩ ما يلي:

(. . . . كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأيّ بلاد؟ وأسَرَ وَقَتَلَ وَسَبى واسترقَّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ذلك بما قدّمت أيدينا وكسبته).

بيان المصنف أسباب هزيمة قومه:

ألمع إلى ذلك في ٣/٢٤٥ فقال:

«. . . وهذا شأن الأمم المتنعِّمَة المائلة إلى الدَّعَةِ، تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب، كَعَّتْ وانقادت لطبعها».

وصرَّح به في ٣/٢٥٥ فقال:

«قلت: هكذا يجب علينا أن نفعل. لكن الأعمال القبيحةُ، والنيَّات الفاسدة، منعت من ذلك، حتى ينكسر العدد الكبير منا، قدّام اليسير من العدو، كما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا».

وصرّح به أيضاً في ٥/٤٢٠ فقال:

«فيقتضي ظاهر الكلام أنه لا يسلط عليهم عدوّهم، فيستبيحهم، إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض، وسبي بعضهم لبعض، وقد وجد ذلك في هـذه

الأزمان، بالفتن الواقعة بين المسلمين، فغلظت شوكة الكافرين، واستولوا على بلاد المسلمين، حتى لم يبق من الإسلام إلا أقله، فنسألُ الله أن يتداركنا بعفوه ونصره ولطفه».

وصرّح أيضاً بسبب هزيمة أهل عصره في ٣/٢٥٥ فقال:

«فهذه أسباب النصر وشروطه، وهي معدومة عندنا، غير موجودة فينا، فإنالله وإنا إليه راجعون، على ما أصابنا وحلَّ بنا! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الدِّين إلا رسمه، لظهور الفساد، ولكثرة الطغيان، وقلة الرّشاد، حتى استولى العدوّ شرقاً وغرباً، براً وبحراً، وعمّت الفتن، وعظُمت المحن، ولا عاصم إلا مَنْ رحم».

احتلال العدو لقرطبة:

ألمع إلى ذلك في ٣/٢٣٧ فقال:

«أخبرنا الشيخ الفقيه.... بقرطبة أعادها الله...».

وصرّح بظفر العدو على المسلمين في ١٤/١٢٢ فقال:

«ولجهلنا بقدر ذلك، وغلبة شهواتنا علينا، وظفر عدوّنا اللعين بنا، صِرْنَا أحقرَ من الفِراش، وأذلّ من الفَرَاش، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!».

وكذلك قال في ٧/٩ ـ ١٠:

«فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا، بقتل بعضنا بعضاً، واستباحة بعضنا أموال بعض، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها، وما بطن».

شكوى المصنِّفُ من أخلاق أهل مصر:

شكى من عدم وجود الغيرة فيهم، فقال في ٩/١٧٥:

«وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود».

وشكى من انحناء وقيام بعضهم لبعض، فقال في ٩/٢٦٥:

«قلت: هذا الانحناء والتَّكفِّي، الذي نسخ عنا، قد صار عادةً بالديار المصريّة، وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض، حتى أن أحدهم، إذا لم يقم له، وجد في نفسه، كأنه لا يُؤبه به، وأنه لا قدر له، وكذلك إذا التقوا انحنى

بعضهم لبعض، عادة مستمرة، ووراثة مستقرة، لا سيّما عند التقاء الأمراء والرؤساء. نَكَبوا عن السُّنَن، وأعرضوا عن السَّنن».

وشكى من وقوع عوامهم في أخطاء فادحة، فعندما تعرض لتخطئة قول بعضهم عندما ينجيه الله من الهلكة: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل اللص، ونحو هذا، قال:

«فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب» ومن ثم عقب على ذلك بقوله:

«قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله، كثير من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم». انظر: ٩/٢٧٣.

وشكى من قعود النِّساء متبرِّجات في القيساريات، فقال في ١٣/١٧:

«ما ذَكَرَتْهُ مشيخةُ أهل العلم، فنعمّا هو، فإن ذلك خالٍ عن النَّظر إلى النّسوان ومخالطتهن، إذ ليس بذلك من حاجتهن. وأما غيرهما من الأسواق، فمشحونة منهن، وقلّة الحياء، قد غلبت عليهن، حتى ترى المرأة في القيساريات وغيرهن، قاعدة متبرّجة بزينتها، وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا. نعوذ بالله من سخطه».

وشكى من ظلم أهل عصره، فقال في ٤/٢١١ بعد أن ذكر مقولةً للحسن البصري رحمه الله تعالى: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار» فعقّب عليها بقوله:

«قلت: هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا، الذي يُرى فيه الإنسانُ مُكِبّاً على الظلم!! حريصاً عليه، لا يُقلِع، والسُّبْحَةُ في يده زاعماً أنه يستغفر الله من ذنبه، وذلك استهزاءٌ منه واستخفاف».

وشكى من حُكّام عصره، فقال في ٢/٣٤٠:

«قلت: فالحكام اليوم، عين الرّشا، لا مَظِنّته، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقال في ٤/١٧٩:

«قلت: وقد انقلبت الأحوال، في هذه الأزمان، باتّخاذ أهل الكتاب كتبةً وأُمناء، وتَسوَّدوا بذلك عند الجهلة الأغبياء، من الولاة والأمراء».

بل ذهب رحمه الله تعالى إلى أنّ طاعة ولاةَ عصره غير واجبة، لأنهم عصوا